وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ
﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ
هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ
أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ
﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ
رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ
﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ
تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ
﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ القَمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟
سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾
وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ
ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

[٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩] ثم بين جل وعلا أنه هو الذي خلق الذكر والأنثىٰ وأوجدهما من العدم، وبين أنه خلق هذين الصنفين - من الإنسان والحيوان والجان - من نطفة المني التي تصبّ في الرحم وتتدفق فيه، وبين سبحانه أنه هو الذي يعيد خلق هذه الخلائق مرة أخرىٰ يوم البعث والنشور؛ ليجازي كلًّا بما يستحق. وبين سبحانه بأنه يغني من يشاء من عباده، ويفقر من يشاء منهم. وبيّن سبحانه بأنه هو ربُّ النجم المعروف بالشِّعْرَىٰ، وهو نجمٌ كان يُعبد في الجاهلية من دون الله.

[٥٠-٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٥] ثم أخبر جل وعلا أنه أهلك الأمم التي كذبت أنبياءها، فأهلك عادًا قوم هود، وأهلك ثمود قوم صالح، أهلكهم الله وأبادهم فلم يبقِ منهم أحدًا. وأهلك سبحانه قبل عاد وثمود قوم نوح؛ فأغرقهم بالطوفان، وقد كانوا أكثر مجاوزةً للحدّ من غيرهم، وأكثر إسرافًا في الشرك والتكذيب. وهكذا أهلك سبحانه المؤتفكة، وهي مدائن قوم لوط، فأمر الله جبريل فرفعها ثم نكسها وأهوىٰ بها إلىٰ الأرض، فجعل عاليها سافلها، ثم ألبسها الله من العذاب ما ألبسها من الحجارة التي وقعت عليهم، وعذبوا بألوان العذاب الأليم الذي لا يمكن وصفه، ولم ينج من هذه الأمم إلا رسلهم ومن آمن معهم. ثم ذكّر سبحانه الإنسان بنعمه التي أنعم بها عليه، وبين له أن نعم الله وآلاءَه عليه عظيمة وشاملة له ولغيره؛ فبأي شيء أيها الإنسان منها تشك وتنكر.

[٥٦-٥٧-٥٨] واعلم أيها الإنسان أن محمدًا ﷺ رسول أرسله الله كباقي الأنبياء الذين أرسلهم الله إلىٰ البشر، وأن مهمته ﷺ ورسالته مثل رسائلهم لهداية البشر. ثم أخبر جل وعلا أن الآزفة، أي: الساعة قد اقترب وقوعها، وأنه لا يدفعها من دون الله أحد، كما أنه لا يعلم بوقت وقوعها أحد من البشر.

[٥٩-٦٠-٦١-٦٢] ثم أنكر جل وعلا علىٰ المشركين تعجبهم من القرآن واستهزاءهم به وإعراضهم عنه، وأنهم يضحكون سخرية واستهزاءً به عند سماعه، وكان الواجب عليهم أن يبكوا من زواجره خوفًا من الوعيد الذي ينتظرهم. ثم بين سبحانه أنهم لعدم اكتراثهم بهذا القرآن فإنهم لاهون ساهون في أغانيهم ولهوهم. ثم أمر جل في علاه هؤلاء المشركين أن يتركوا ما هم عليه من كفر وضلال وأن يسجدوا لله إجلالًا له، ويعبدوه بإخلاص التوحيد له وإفراده بالعبادة.

سورة القمر

سورة القمر مكية وآياتها خمس وخمسون آية.

[١] يخبر جل وعلا أن الساعة التي هي جزء من أجزاء الزمن، وهي آخر ساعة من ساعات أيام الدنيا، وهي طلوع الشمس من مغربها قد اقتربت، وأخبر سبحانه أن القمر انشق نصفين معجزة للنبي ﷺ، وقد رأىٰ هذا الانشقاق كثير من الناس.

[٢-٣] واعلم يانبي الله أن هؤلاء المشركين مهما رأوا من الأدلة أو المعجزات التي تدل علىٰ صدقك فإنهم سيعرضون ولن يؤمنوا بالله وبرسوله؛ بل سيقولون لك علىٰ سبيل التكذيب: إن هذا الذي أتيت به ما هو إلا سحر. ثم أخبر سبحانه أن هؤلاء الجاحدين كذبوا النبي ﷺ واتبعوا ما دعتهم إليه أهواؤهم من التكذيب، ثم بين سبحانه أن كل أمر لا بد له من نهاية، وهكذا أمر هؤلاء الكفار سينتهي إلىٰ الخسران، وأما أمر المؤمنين فسينتهي إلىٰ الفلاح ورضا الله عنهم.

[٤] واعلم يانبي الله أن كفار قريش قد جاءهم من أخبار الأمم السابقة، ومن المعجزات الظاهرة، والبراهين الواضحة؛ ما فيه زاجرٌ لهم يزجرهم عن طغيانهم، واستمرارهم علىٰ الكفر والشرك، ويكفي شاهدًا علىٰ ذلك ماحَلَّ بديارهم من دمار.

[٥] ثم بين جل وعلا أن هذا القرآن حكمةٌ بالغةٌ تامَّةٌ مِنَ الله عليهم، لتقوم الحجة علىٰ هؤلاء المعاندين، ولا يبقىٰ لهم عذرٌ، ولن تغني النذر ولن تفيد المعاندين شيئًا؛ لأن عنادهم يصرفهم عن قبول الحق.

[٦] وإذا كان الأمر كذلك فأعرض يانبي الله عنهم واتركهم؛ حيث إنك بلَّغْتَهم الرسالة وبينت لهم الحق فأصروا علىٰ الكفر، وهؤلاء الكفار سوف يأتيهم يومٌ عظيم الأهوال، يوم يُنفَخُ في الصور، فيُدعوْن للجزاء والحساب فيُبصرون أمرًا فظيعًا ينكرونه استعظامًا له لشدة الهول وفظاعته.

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن
كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧
كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ۝٢٣ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝٢٥ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ
۝٢٦ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ۝٢٧

[٧] بين سبحانه أن هؤلاء الكفار الذين يُدْعَوْنَ للجزاء والحساب سوف تكون أبصارهم كليلةً ذليلةً من الفزع والذل والهوان، يخرجون من قبورهم إلىٰ أرض المحشر مسرعين؛ كأنهم جرادٌ مبثوثٌ في الأرض متكاثرٌ جدًّا، لتفرقهم وانتشارهم، واختلاط بعضهم ببعض.

[٨] وبين سبحانه أنهم يخرجون مسرعين استجابة إلىٰ الداعي الذي دعاهم لأرض المحشر لا يخالفون ولا يتأخرون، وفي هذه الأثناء يقول الكافرون: هذا يوم صعب شديدٌ غير يسير.

[٩] ذكر جل وعلا أخبار الأمم المكذبة وما حل بهم من العذاب والنكال تسلية لرسوله ﷺ وتحذيرًا لكفار مكة، فقال سبحانه: لقد كذَّبت يانبي الله قبل قومك أقوام كثيرة، ومن هذه الأقوام قوم نوح عليه السلام؛ حيث كذبوا عبدنا نوحًا، وقالوا: إنه مجنون، وانتهروه مهددين له ومتوعدين بالإيذاء والتخويف إن لم ينته عن دعوته.

[١٠] ولما اشتد الإيذاء علىٰ نوح دعا ربَّه قائلًا: ربِّ إني ضعيفٌ عن مقاومة كيد هؤلاء الكفار المكذبين، فانصرني يارب عليهم وانتقم لي منهم.

قال ذلك عندما يئس من إيمانهم؛ حيث قال تعالىٰ له: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود:٣٦].

[١١-١٢] فأخبر جل وعلا أنه استجاب لنوح، ففتح أبواب السماء، أي: السحاب، فصبت الماء صبًّا شديدًا، وفجر الأرض فكانت كلها ينابيع تُخْرِجُ ماءً كثيرًا غزيرًا، فالتقىٰ ماء السماء مع ماء الأرض علىٰ أمر قضاه الله وقدَّره، وهو هلاك هؤلاء الكافرين المعاندين.

[١٣-١٤] ثم بين جل وعلا أنه نجَّىٰ نوحًا والذين آمنوا معه بأنْ حملهم علىٰ سفينةٍ ذات خشبٍ عريضٍ مثبت بالمسامير، وهذه السفينة تجري برعايةِ وحفظِ الله، وأخبر سبحانه أنه أغرق الكافرين المكذبين جزاءً لهم علىٰ كفرهم وتكذيبهم.

[١٥] ثم أخبر جل وعلا أنه أبقىٰ قصة نوح مع قومه عبرة ودليلًا لمن يأتي من بعدهم، فهل من متعظ ومعتبر؟

[١٦] ثم يوجه جلا وعلا قلوب السامعين إلىٰ ما يُلقىٰ إليهم قبل ذكره، فيسألهم: كيف رأيْتَم عذابي ونذري لمن حلَّ بهم العذاب ونزل بهم؟ ألم يكن عذابًا أليمًا فظيعًا لا يحيط به الوصف؟.

[١٧] ثم بين جل وعلا أن من مظاهر فضله ورحمته أنه جعل القرآن سهلًا ميسرًا؛ حيث أنزله بأفصح لغة وأقوم لسان، فكان فصيحًا واضحًا بينًا، ولذا تجد أن من رغبوا في الإسلام من الأعاجم يفهمونه بكل يسر وسهولة؛ فهل من متعظ بمواعظه، معتبر بقصصه وزواجره؟.

[١٨] أخبر جل وعلا أن عادًا كذبت نبيها هودًا عليه السلام، ولم يؤمنوا به، ولم يتعظوا بإنذاره لهم، فهل علمتم ما حل بهم من العذاب والهلاك؟ إنه كان عذابًا أليمًا لا يحيط به الوصف.

[١٩] ثم بين سبحانه أنه أهلكهم بأن أرسل عليهم ريحًا باردةً شديدةً جدًّا، في يومٍ شديد العذاب والشقاء عليهم، دائم الشؤم والنحس.

[٢٠] وبين سبحانه أن هذه الريح تنزع الناس من شدتها وتقتلعهم فترفعهم ثم تدكّهم علىٰ أعناقهم فيهلكوا، فأصبحت جثثهم بعد الهلاك كأنها جذوع نخْلٍ أصابتها الريح الشديدة فاقتلعتها.

[٢١-٢٢] سبق تفسيرهما في الآيتين: ١٦، ١٧ من هذه السورة.

[٢٣] ثم أخبر جل وعلا أن ثمودًا كذبت نبيها صالحًا عليه السلام، ولم يؤمنوا به، ولم يتعظوا بنذارته لهم.

[٢٤] ثم أخبر سبحانه أن ثمودًا قالوا معاندين: كيف نتبع بشرًا مثلنا - ليس بمَلَكٍ -؛ بل هو من جنسِنا، وهو واحدٌ ونحن جماعة كبيرة؟! لو فعلنا ذلك؛ لكنا في جنون وبعدٍ عن الصواب.

[٢٥-٢٦] ثم قال قوم صالح: هل اخْتُصَّ هذا الرجل من بيننا فأُنزل عليه الوحي دوننا؟!! إنه لكذَّابٌ كثير الكذب شديدُه. فسيعلمون غدًا - قبحهم الله - حين ينزل عليهم العذاب من الكذاب شديد الكذب المتكبر.

[٢٧] ثم أخبر جل وعلا أنه سيلبي طلبهم وهو إخراج الناقة لهم من الصخرة، وسيجعل ذلك امتحانًا واختبارًا لهم، ثم أمره سبحانه بأن يصبر علىٰ دعوته إياهم، وأذاهم له، وأن يرتقب وينتظر هل يؤمنون أو يكفرون، ثم ينظر ما يحلّ بهم.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ
﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ
فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾
إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ
وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

[٢٨-٢٩] ثم قال جل وعلا لنبيه صالح على سبيل الإرشاد والتعليم: أخبر ياصالح قومك أن الماء مقسومٌ بينهم وبين الناقة، لهم يوم، ولها يوم. ولكن قوم صالح لم يناسبهم الأمر فلذا نادوا صاحبهم وهو أشقى القوم، وحضُّوه على عقر الناقة، فتناول سيفًا فعقرها، غير مكترث بما سيترتب على هذا الأمر العظيم.

[٣٠] سبق تفسيرها في الآية ١٦ من هذه السورة.

[٣١] ثم أخبر سبحانه أن هذا العذاب الذي نزل بهم أنه أرسل عليهم صيحةً واحدةً، فأُهلكوا، وأُبيدوا، وصاروا كالحطب الذي يجمعه صاحب الماشية في الشتاء ليكون حظيرة تحيط بماشيته ليحفظها.

[٣٢] سبق تفسيرها في الآية ١٧ من هذه السورة.

[٣٣] ثم استأنف جل وعلا فأخبر أن قوم لوط ساروا على سنن المكذبين لرسلهم من الأقوام الماضية؛ فكذبوا نبيهم لوطًا عليه السلام، ولم يؤمنوا به، ولم يتعظوا بنذارته لهم.

[٣٤-٣٥] ثم أخبر جل وعلا أنه أرسل عليهم ريحًا شديدةً ترميهم بالحصباء والحجارة الصغيرة فهلكوا؛ إلا آل لوطٍ، أي: لوط وبناته، فأولئك نجَّاهم الله بخروجهم من تلك القرية آخر الليل قبل نزول العذاب الذي حلَّ بهم صباحًا. وأخبر سبحانه أنه نجَّى آل لوط ومن آمن معه إنعامًا وإكرامًا لهم، وبمثل هذا ينجي الله كل من شكر نعم الله عليه، وأتى بالتوحيد والإيمان والطاعة.

[٣٦] ثم أخبر جل وعلا أن لوطًا أنذر قومَه، وخوفهم عذاب الله الشديد، وعقابه الأليم، فلم يستجيبوا له، وشكُّوا في الإنذار ولم يصدقوه.

[٣٧] ثم بين سبحانه جرمهم القبيح الذي استحقوا به العذاب، وهو فعل فاحشة اللواط، والذي بسببه نزلت الملائكة لتعذيبهم؛ حيث جاؤوا مسرعين إلى لوطٍ يراودونه على أضيافه ليفعلوا بهم الفاحشة كما هي عادتهم القبيحة، فطمس الله أعينهم ومسحها، فلم يبصروا شيئًا، ثم قيل لهم: ذوقوا عذابي الذي امتريتم فيه ولم تصدقوه، ولم تعملوا بنذارة نبيكم لوط عليه السلام.

[٣٨] ثم بين جل وعلا أن هؤلاء المجرمين من قوم لوط نزل بهم العذاب وقت الصبح، واستمر حتى استأصلهم عن بكرة أبيهم؛ حيث أهلكهم الله بالحجارة التي أرسلت عليهم، واقتلعت الملائكة قراهم ورفعتها إلى السماء ثم قلبتها، وجعلت عاليها سافلها.

[٣٩-٤٠] سبق تفسيرهما في الآيتين: ١٦، ١٧ من هذه السورة.

[٤١-٤٢] يخبر جل وعلا أن آل فرعون توالت عليهم الإنذارات، وجاءتهم الآية تلو الآية، ولكنهم كذبوا بجميع الآيات؛ ولهذا أهلكهم الله بالغرق، وأخذهم أخذ عزيز قوي غالب لا يعجزه شيء.

[٤٣] ثم خوف جل وعلا كفار مكة فقال سبحانه: هل أنتم أيها المكذبون المعاندون الذين كذبتم رسول الله وهو محمد ﷺ؛ خير وأكثر حصانة ومنعة ممن سبقكم؟، بالطبع الجواب: لا، فأنتم لستم بأكثر منهم قوة، ولا أوفر عددًا، أم أن لكم في الكتب المقدسة المنزلة من الله ما يثبت أنكم برآء، وأنكم غير مؤاخذين بكفركم.

[٤٤-٤٥] ثم أخبر جل وعلا أن هؤلاء الكفار بسبب غرورهم يقولون: نحن جميعنا يد واحدة وسوف ننتصر على من عادانا. فرد الله عليهم قولهم وأخبر أن جمع مشركي مكة سيهزمون ويولون الأدبار أمام المؤمنين، وهذا ما حدث في وقعة بدر، فتم بحمد الله نصر الإسلام؛ وهزم الجمع وولوا الدبر، وقتل عتاتهم كأبي جهل وأمثاله وأسر سبعون منهم، وهكذا الكفر والغرور يهلك أصحابه.

[٤٦] ثم هدد جل وعلا هؤلاء الكفار وأخبر أن ما نزل بهم من عذاب في الدنيا إنما هو مقدمة لما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة، وهو بلا شك عذاب أعظم وأفظع وأشد مرارة مما حدث لهم يوم بدر؛ فهو جزاء سرمدي في النار والعياذ بالله.

[٤٧-٤٨] ثم بين جل وعلا أن هؤلاء المجرمين المجاوزين حدودهم بالشرك والمعاصي؛ في ضلال وغواية، وتيهٍ وحيرة في الحياة الدنيا، وفي الآخرة في نار السعير التي تشتعل في أجسامهم، وتحرق قلوبهم. وأنهم سيساقون على وجوههم إلى جهنم سوقًا، ويقال لهم إيلامًا وتعنيفًا: ذوقوا حر النار وآلامها جزاءً وفاقًا لتكذيبكم رسل الله في كل ما جاءوا به.

[٤٩] ثم بين سبحانه أن كل ما يوجد في هذه الحياة فهو مقدرٌ ومكتوب في اللوح المحفوظ من الأزل، وأنه سبحانه أعطى كل مخلوق قدرة على المهمة التي خلق لها.

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ
أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ
٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ ٥٣ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ٥٥

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤
ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦
وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨
وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩ وَٱلۡأَرۡضَ
وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١
وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
١٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن
مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦ رَبُّ
ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨

[٥٠] ثم أخبر جل وعلا بعظيم قدرته فقال: وما شأننا في الخلق والإيجاد إلا أن نقول للشيء: (كن) فيكون، فيأتي كلمح البصر.

[٥١] واعلموا يامعشر قريش بأننا أهلكنا أشباهكم من المكذبين لأنبيائهم من الأمم الخالية، واستأصلنا شأفتهم بحسب سنتنا في أمثالهم، بشتىٰ العقوبات، ومختلف الوسائل؛ أفما كان لكم في ذلك مزدجر تعتبرون به؟. [٥٢-٥٣] ثم بين جل وعلا أن كل أعمال هؤلاء الكفار محصاة عليهم؛ فجميع ما فعلته الأمم من خير أو شر مكتوب ومحفوظ، وسيحاسبون علىٰ النقير والقطمير.

ثم بين سبحانه أن كل شيء من أعمال الخلق، أقوالهم وأفعالهم وما هو كائن، مسطور في اللوح المحفوظ صغيره وكبيره، وجليله وحقيره. [٥٤-٥٥] ختم جل وعلا السورة بذكر إكرامه وإحسانه للمتقين الذين يخافون الله، وأخبر بأنهم سيدخلون يوم القيامة الجنة ويتمتعون فيها ببساتين عظيمة، وأنهار واسعة. وأنهم في مجلس كريم، لا لغو فيه ولا تأثيم، مقربون عند ملك عظيم، قادر علىٰ كل شيء. ولا شك أن النعيم علىٰ قدر المنعم، ونحن في حياتنا نقول: الهدايا علىٰ قدر مهديها. فنسأل الله أن يمن علينا برحمته في هذه الليلة المباركة من العشر الأواخر في رمضان من عام ١٤٣٤هـ.

سورة الرحمن

سورة الرحمن مدنية وآياتها ثمان وسبعون آية.

[١] افْتُتِحَتْ هذه السورة بهذا الاسم الجليل (الرحمن)، وهو الله جل في علاه، صاحب الرحمة الكاملة في الدنيا والآخرة. [٢] ثم عدد سبحانه نعمه علىٰ عباده، وبدأ بأعظمها وهو القرآن؛ فذكر أنه علم نبيه ﷺ تلاوة آياته؛ حيث إن جبريل قام بتعليم الرسول ﷺ القرآن بأمر من الله، والرسول ﷺ علمه أمته. [٣] ثم ذكر سبحانه أنه خلق الإنسان، أي: أوجده وكونه علىٰ الصورة التي أراد الخالق المبدع. [٤] ثم ذكر سبحانه أنه علم الإنسان البيان الذي يتم به التفاهم بين الخلق في جميع أمورهم. وتقديم القرآن علىٰ خلق الإنسان فيه دلالة علىٰ أن الله أوجد له منهجه قبل خلقه، وأنه نعمة عظمىٰ من الله تستحق الشكر والامتثال.

[٥] ثم امتن جل وعلا علىٰ عباده بنعمة أخرىٰ وهي أنه خلق الشمس والقمر وسخرهما يجريان بحساب متقن لا يختلف ولا يضطرب، ولا يتعديان ما رسم لهما، ومن فوائد خلقهما أنهما يدلان علىٰ الشهور والسنين والفصول ومواقيت الغرس والزرع وجني الثمار، ومواقيت العبادات.

[٦] ومن نعمه سبحانه علىٰ عباده هذه النجوم التي خلقها في السماء؛ فهي زينة للسماء ورجومٌ للشياطين، ويُهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر، ومن نعمه هذه الأشجار التي تنبت في الأرض، والتي كلها تنقاد لله وتنفذ ما كلفت به بدقة، وهي كالمخلوقات تسجد لله سجودًا حقيقيًّا لا يعلمه إلا الله مثل تسبيح الكائنات، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾[الحج:١٨].

[٧-٨-٩] ونعمة أخرىٰ امتن بها جل وعلا علىٰ عباده وهي أنه خلق هذه السماء ورفعها بدون أعمدة مرئية فجعلها سقفًا للأرض والفضاء الذي بينهما، ثم أخبر سبحانه بأنه شرع العدل وأمر به في كل الأمور؛ لكي لا يتجاوز أحد حدوده فيظلم ويجور، وأمرهم أن يقيموا الوزن بالعدل، وأن لا ينقصوا الميزان إذا وزنوا للناس.

[١٠-١١-١٢] ونعمة أخرىٰ امتن بها جل وعلا علىٰ عباده وهي أنه خلق هذه الأرض وبسطها وهيأ فيها مقومات العيش، وقدر فيها أرزاقها. وخلق فيها أنواع الفواكه التي تتلذذون بأكلها، ومنها فاكهة النخل ذات الأغلفة التي تغطي الثمرة حتىٰ إذا نمت انشق الغلاف لتتهيأ للنمو ثم للنضج، قال ابن كثير: أفرد النخل بالذكر لشرفه ونفعه رطبًا ويابسًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾[ق:١٠-١١]. ثم بين سبحانه أنه خلق فيها أنواع الحبوب المغطاة بالقشور قوتًا لكم ولأنعامكم، وخلق فيها أنواع النباتات التي تتميز برائحتها الزكية. [١٣] ثم خاطب جل وعلا الجن والإنس علىٰ سبيل التقرير وكرر ذلك للتأكيد فقال سبحانه: فبأي نعم ربكم أيها الجن والإنس تكذبان؟!، أي: أنها نعم لا يكذَّب بها. [١٤-١٥] ثم أخبر جل وعلا أنه خلق آدم عليه السلام أبا البشر من طين يابس يُسمَع له صلصلة تشبه صوت الفخار، وهو الخزف الذي طبخ علىٰ النار، وأخبر أنه خلق إبليس، - وهو أبو الجن - من لهب النار الصافي. [١٦] سبق تفسيرها في الآية ١٣ من هذه السورة. [١٧] ثم أخبر جل وعلا أن الذي أبدع كل هذه النعم هو ربُّ وخالق مشرقي الشمس ومَغْرِبَيْهما شتاءً وصيفًا. [١٨] سبق تفسيرها في الآية ١٣ من هذه السورة.